

العنوان:	صرف الممنوع من الصرف
المؤلف الرئيسي:	المذهان، صالح فليح زعل
مؤلفين آخرين:	اللبيدي، محمد سمير نجيب عبد الباقي (مشرف)
التاريخ الميلادي:	2010
موقع:	عمان
الصفحات:	1 - 156
رقم MD:	540902
نوع المحتوى:	رسائل جامعية
الدرجة العلمية:	رسالة ماجستير
الجامعة:	جامعة الشرق الأوسط
الكلية:	كلية الآداب
الدولة:	الأردن
قواعد المعلومات:	Dissertations
مواضيع:	الصرف ، الممنوع من الصرف، الإعراب، اللغة العربية
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/540902

الفصل الثاني

صرف الممنوع من الصرف

في الحديث النبوي الشريف

صرف الممنوع من الصرف في الحديث النبوي الشريف

يعد الحديث النبوي الشريف¹ مصدراً مهماً لدراسة اللغة بعد القرآن الكريم ؛ إذ إنّ النبي - صلى الله عليه وسلم - أفصح الخلق وأبلغهم ، فقد روى الإمام مسلم² من حديث أبي هريرة " أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ : فَضَّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ أُعْطِيَتْ جَوَامِعَ الْكَلِمِ ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ " ³ .

وقد اختلف النحاة في الاحتجاج بالحديث النبوي الشريف والاستشهاد به ، فذهب بعضهم إلى منع الاحتجاج بالحديث والاستشهاد به مطلقاً ، ومنهم أبو حيان الأندلسي وأبو الحسن بن الضائع ، " وسندهما أمران : أحدهما أَنَّ الأحاديث لم تُتَقَلَّ كما سُمِعَتْ من النبي صلى الله عليه وسلم ، وإِنَّمَا رُوِيَتْ بالمعنى ⁴ .

¹ - الحديث : لغة " نقيضُ القديم والحديث نقيضُ القدمَةِ حَدَّثَ الشَّيْءُ يَحْدُثُ حَدُوثًا وَحَدَاثَةً وَأَحْدَثَهُ هُوَ فَهُوَ مُحَدَّثٌ وَحَدِيثٌ " . لسان العرب مادة " حدث " . واصطلاحاً : " ما أُضيفَ إلى النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو وصف خلقي أو خلقي " . منهج النقد في علوم الحديث : 26 . ويراد بالحديث الشريف أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأقوال الصحابة التي تروى أفعاله وأحواله أو ما وقع في زمنه . في أصول النحو : 46 .

² - أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد بن كوشاذ القشيري النيسابوري صاحب الصحيح ، أحد الأئمة الحفاظ وأعلام المحدثين ، رحل إلى الحجاز والعراق والشام ومصر ، وقدم بغداد غير مرة فروى عنه أهلها وآخر قدومه إليها في سنة تسع وخمسين ومائتين ، وروى عنه الترمذي وكان من الثقات . وتوفي مسلم عشية يوم الأحد ودفن بنصر أباذ ظاهر نيسابور يوم الاثنين لخمس ، وقيل لست ، بقين من شهر رجب الفرد سنة إحدى وستين ومائتين بنيسابور ، وعمره خمس وخمسون سنة . وفیات الأعيان : 5 / 194 .

³ - صحيح مسلم : 211 ، ورقم الحديث 523 .

⁴ - قال ابن الضائع : " تجوز الرواية بالمعنى هو السبب عندي في ترك الأئمة كسيبويه وغيره الاستشهاد على إثبات اللغة بالحديث ، واعتمدوا في ذلك على القرآن وصريح النقل عن العرب ، ولولا تصريح العلماء بجواز النقل بالمعنى في الحديث لكان الأولى في إثبات فصيح اللغة كلام النبي صلى الله عليه وسلم لأنَّه أفصح العرب " خزائن الأدب : 10 / 1 .

وثانيهما أَنَّ أئمة النحو المتقدمين من المصْرَيْن¹ لم يحتجوا بشيء منه² .

وقد ردَّ البغدادي عليهم بقوله : " وردُّ الأوَّل - على تقدير تسليمه - بأنَّ النقل بالمعنى إنَّما كان في الصدر الأوَّل قبل تدوينه في الكتب ، وقبل فساد اللغة ، وغايته تبديل لفظ بلفظ يصح الاحتجاج به ، فلا فرق على أنَّ اليقين غير شرط ، بل الظنَّ كافٍ ، وردُّ الثاني بأنَّه لا يلزم من عدم استدلالهم بالحديث عدم صحة الاستدلال به ، والصواب جواز الاحتجاج بالحديث للنحوي في ضبط ألفاظه ، ويلحق به ما روي عن الصحابة وأهل البيت كما صنع الشارح المحقق³ .

وذهب فريق ثانٍ إلى الاحتجاج بالحديث والاستشهاد به مطلقاً والإكثار منه ومنهم ابن مالك الذي أكثر من الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف ، ويؤكد ذلك ما قرره البغدادي بقوله " وأما الاستدلال بحديث النبي - صلى الله عليه وسلم - فقد جوزاه ابن مالك وتبعه الشارح المحقق في ذلك ، وزاد عليه بالاحتجاج بكلام أهل البيت - رضي الله عنهم - ومن أمثلة استشهاده بالحديث استشهاده على لغة أكلوني البراغيث بحديث الصحيحين (يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار)⁴ ، وأكثر من ذلك حتى صار يسميها لغة يتعاقبون⁵ .

¹ - المصْران : " الكوفة والبصرة " . قال ابن الأعرابي : قيل : لهما المصْران ؛ لأنَّ عمر رضي الله عنه قال : لا تجعلوا البحر فيما بيني وبينكم مصْرَوها أي صيروها مصراً بين البحر وبينني أي حداً والمصْر الحاجز بين الشيئين " اللسان : مادة (مصر) .

² - خزائن الأدب : 1 / 11 .

³ - المرجع السابق : 1 / 12 .

⁴ - والحديث رواه الإمام البخاري من حديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ " أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْعَصْرِ وَصَلَاةِ الْفَجْرِ ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي فَيَقُولُونَ تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ وَاتَّيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ " . صحيح البخاري : 1290 ، رقم الحديث 7486 .

⁵ - خزائن الأدب : 1 / 12 .

ويرى فريق ثالث التوسط في الاحتجاج بالحديث النبوي الشريف والاستشهاد به فقبل بعض الأحاديث ورفض بعضها ، وهو مذهب الشاطبي ، فقد توسط بين الطرفين فقبل بعض الأحاديث ، ورفض الاحتجاج ببعضها الآخر ، ويؤكد ذلك بقوله : " لم نجد أحداً من النحويين استشهد بحديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهم يستشهدون بكلام أجلاف العرب وسفهاءهم الذين يبولون على أعقابهم ، وأشعارهم التي فيها الفحش والخنى ويتركون الأحاديث الصحيحة ؛ لأنها تتقل بالمعنى ، وتختلف رواياتها وألفاظها بخلاف كلام العرب وشعرهم فإن رواته اعتنوا بألفاظها ، لما ينبني عليه من النحو ، ولو وقفت على اجتهداهم قضيت منه العجب وكذا القرآن ووجوه القراءات ، وأما الحديث فعلى قسمين : قسم يعتني ناقله بمعناه دون لفظه ، فهذا لم يقع به استشهاد أهل اللسان ، وقسم عرف اعتناء ناقله بلفظه لمقصود خاص كالأحاديث التي قصد بها بيان فصاحته صلى الله عليه وسلم ، ككتابه لهما وكتابه لوائ بن حجر والأمثال النبوية ، فهذا يصح الاستشهاد به في العربية ¹ .

وقد علل بعض الباحثين إعراض سيبويه عن الاحتجاج بالحديث النبوي الشريف بأنه لم يكن قد دُون بعد ، ولم تظهر المسانيد التي جمعت الأحاديث ودونها ، فأول مَنْ أَلَف في الحديث أبو داود سليمان الطيالسي ² (ت 204) ، ثم تلا المسانيد كتب الصحاح وأولها

¹ - خزائن الأدب : 1 / 12 .

² - سليمان بن داود الجارود مولى قریش ، أبو داود الطيالسي من كبار حفاظ الحديث ، فارسي الأصل سكن البصرة وتوفي بها ، كان يحدث من حفظه . سمع يقول : أسرد ثلاثين ألف حديث . له (مسند - ط) جمعه بعض الحفاظ الخراسانيين ، وتوفي سنة 204 هـ . الأعلام : 3 / 125 .

صحيح الإمام البخاري¹ (ت 256) الذي أجمع المحققون على أن كتابه أصح الكتب بعد القرآن الكريم².

وقد رجع بعض العلماء جواز الاحتجاج بالحديث النبوي الشريف³، وأخذ مجمع اللغة العربية بالقاهرة بهذا الرأي فأجاز الاحتجاج بالحديث والاستشهاد به في أحوال خاصة⁴. ويتبدى للباحث صحة الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف، والاحتجاج به، ويُرجح الباحث عدم استشهاد النحاة بالحديث النبوي الشريف والاحتجاج به؛ بأنه لم يكن مُدَوَّنًا، وأنَّ النحاة ظنوا أنَّ الحديث النبوي قد رُوِيَ بالمعنى. ويؤكد ذلك ما قرره ابن الضائع بقوله: "تجوز الرواية بالمعنى هو السبب عندي في ترك الأئمة كسبويه وغيره الاستشهاد

¹ - أبو عبد الله محمد بن أبي الحسن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن الأحنف صاحب الجامع الصحيح والتاريخ رحل في طلب الحديث إلى أكثر محدثي الأمصار، وتوفي سنة ست وخمسين ومائتين رحمه الله تعالى. وفيات الأعيان: 4 / 188.

² - انظر: احتجاج النحويين بالحديث: 60.

³ - انظر: الاستدلال بالأحاديث النبوية الشريفة على إثبات القواعد النحوية: 10، وموقف النحاة من الاحتجاج بالحديث: 427. وفي أصول النحو: 55 وما بعدها.

⁴ - وقد رأى المجمع اللغوي بالقاهرة جواز الاحتجاج ببعض الأحاديث في أحوال خاصة مبينة في ما يأتي: 1. لا يحتج في العربية بحديث لا يوجد في الكتب المدونة في الصدر الأول كالكتب الصحاح الست فما قبلها. 2. يحتج بالحديث المدون في هذه الكتب الأنفة الذكر على الوجه الآتي:

أ- الأحاديث المتواترة والمشهورة.

ب- الأحاديث التي تستعمل ألفاظها في العبادات.

ج- الأحاديث التي تعد من جوامع الكلم.

د- كتب النبي صلى الله عليه وسلم.

هـ- الأحاديث المروية لبيان أنه كان - صلى الله عليه وسلم - يخاطب كل قوم بلغتهم.

و- الأحاديث التي دونها من نشأ بين العرب الفصحاء.

ز- الأحاديث التي عُرف من حال رواتها أنهم لا يجيزون رواية الحديث بالمعنى مثل القاسم ابن محمد ورجاء بن حيوة، وابن سيرين.

ح- الأحاديث المروية من طرق متعددة، وألفاظها واحدة. مجموعة القرارات العلمية والدورات: 3 وما بعدها. مجلة مجمع اللغة العربية في ثلاثين عامًا. سنة 1971م.

على إثبات اللغة بالحديث ، واعتمدوا في ذلك على القرآن وصريح النقل عن العرب، ولولا تصريح العلماء بجواز النقل بالمعنى في الحديث لكان الأولى في إثبات فصيح اللغة كلام النبي صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه أفصح العرب ¹.

والذي يظهر للباحث أنه لا مناص من الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف والاحتجاج به ، فقد ظهرت علوم الحديث النبوي كعلم الجرح والتعديل وغيره من العلوم التي تؤكد صحة رواية الحديث النبوي لفظاً ومعنى .

فإذا ثبت ذلك فلا حجة لمن رفض الاستشهاد بالحديث النبوي والاحتجاج به ويكون الاستشهاد بالحديث والاحتجاج به على إثبات اللغة وقواعدها أمراً مهماً ، وأصلاً من أصول اللغة ، ومصدرًا من مصادر دراسة اللغة بمستوياتها كافة .

صرف الوصف الذي على وزن فعلان

وقد تواترت الشواهد النحوية في الحديث النبوي الشريف التي صرفت الممنوع من الصرف ، فمن هذه الشواهد صرف الوصف الذي على وزن (فعْلان) الذي مؤنثه (فعْلَى) ، فروى الإمام أحمد² من حديث المقدام بن معدى كَرَبَ الكِنْدِيِّ قال : قال رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - : " أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ لَا يُوشِكُ رَجُلٌ يَنْتَنِي شَبَعَانَا عَلَى أَرْيَكَتِهِ³⁴ .

¹ - خزائن الأدب : 10 / 1 .

² - الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، المروزي الأصل . وكان إمام المحدثين صنف كتابه المسند، وجمع فيه من الحديث ما لم يتفق لغيره، وقيل: إنه كان يحفظ ألف ألف حديث توفي ضحوة نهار الجمعة، لانتنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول ، سنة إحدى وأربعين ومائتين ببغداد وفيات الأعيان : 1 / 63 .

³ - الأريكة : سرير مُنَجَّد مُزَيَّن في قبة أو بيت . اللسان : مادة (أرك) .

⁴ - مسند أحمد : 4 / 130 ، رقم الحديث 17213 .

وورد الوصف ذاته مصروفًا في حديث آخر ، فقد روى الحاكم النيسابوري¹ من حديث عائشة رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : " لَيْسَ بِالْمُؤْمِنِ الَّذِي يَبِيتُ شَبَعَانًا وَجَارَهُ جَائِعٌ إِلَى جَنْبِهِ " ² . وكقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : " مَا آمَنَ بِي مَنْ بَاتَ شَبَعَانًا وَجَارُهُ جَائِعٌ إِلَى جَنْبِهِ وَهُوَ يَعْلَمُ بِهِ " ³ .

ومن شواهد صرف الوصف (سكران) ، ما رواه الإمام أحمد من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، أَنَّهُ قَالَ : " بَيْنَمَا أَنَا عِنْدَهَا إِذْ مَرَّ رَجُلٌ قَدْ ضُرِبَ فِي خَمْرٍ عَلَى بَابِهَا فَسَمِعَتْ حِسَّ النَّاسِ ، فَقَالَتْ : أَيُّ شَيْءٍ هَذَا ؟ قُلْتُ : رَجُلٌ أَخَذَ سَكْرَانًا مِنْ خَمْرٍ فَضُرِبَ ... " ⁴ .

ومن الشواهد قول خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ لِأَبِيهَا عندما اعترض على زواجها من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " ... أَمَا تَسْتَحْيِي ، أَتُرِيدُ أَنْ تُسَفِّهُ نَفْسَكَ تُخْبِرُ قُرَيْشًا وَالنَّاسَ أَنَّكَ كُنْتَ سَكْرَانًا ؟ فَلَمْ تَزَلْ بِهِ حَتَّى رَضِيَ " ⁵ ، ومنها ما رواه الإمام النسائي⁶ من حديث ابن وهب قال : أَخْبَرَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ رَجُلٍ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ ثَلَاثَ تَطْلِيقَاتٍ جَمِيعًا

¹ - أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهاني المعروف بالحاكم النيسابوري، الحافظ المعروف بابن البيع؛ إمام أهل الحديث في عصره والمؤلف فيه الكتب التي لم يسبق إلى مثلها، كان عالمًا عارفًا واسع العلم ، وكانت ولادته في شهر ربيع الأول سنة إحدى وعشرين وثلاث مئة بنيسابور ، وتوفي بها يوم الثلاثاء ثالث صفر سنة خمس وأربعمائة، وقال الخليلي في كتاب الإرشاد: توفي سنة ثلاث وأربعمائة . وفيات الأعيان : 4 / 280 .

² - المستدرك على الصحيحين : 15/2 ، رقم الحديث 2166 .

³ - المعجم الكبير : 1 / 259 ، رقم الحديث 751 .

⁴ - مسند الإمام أحمد : 6 / 139 ، 25132 .

⁵ - المعجم الكبير للطبراني : 12 / 186 ، رقم الحديث 12838 .

⁶ - أبو عبد الرحمن أحمد بن علي بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر النسائي، الحافظ؛ كان إمام أهل عصره في الحديث، وله كتاب السنن، وسكن بمصر وانتشرت بها تصانيفه ، وأخذ عنه الناس . وتوفي يوم الاثنين، لثلاث عشرة ليلة خلت من صفر، سنة ثلاث وثلاث مئة بمكة، حرسها الله تعالى، وقيل: بالرملة من أرض فلسطين . وفيات الأعيان : 1 / 77 .

فقام غضبانا ، ثم قال أيلعب بكتاب الله وأنا بين أظهركم ؟ حتى قام رجل وقال : يا رسول الله ألا أقتله ¹ .

ومن شواهد الوصف الذي على وزن فعْلان قول عائشة : " إِنَّ أُمَّ حَبِيبَةَ سَأَلَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ الدَّمِ ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ : قَدْ رَأَيْتُ مِرْكَنَهَا² مَلَانًا³ دَمًا ... ⁴ وكقول قيس بن سعد بن عبادة : " سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ أَتَى عَطْشَانًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا فَكُلْ مُسْكِرٍ خَمْرٍ وَإِيَّاكُمْ وَالْغُبِيرَاءِ⁵ ⁶ .

ومنها ما رواه النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ : " إِنِّي حَرَمْتُ عَلَى نَفْسِي الظُّلْمَ وَعَلَى عِبَادِي أَلَا فَلَا تَظَالَمُوا كُلُّ بَنِي آدَمَ يُخْطِئُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرُ لَهُ وَلَا أُبَالِي ، وَقَالَ يَا بَنِي آدَمَ : كُلُّكُمْ كَانَ ضَالًّا إِلَّا مَنْ هَدَيْتُ ، وَكُلُّكُمْ كَانَ عَارِيًّا إِلَّا مَنْ كَسَوْتُ ، وَكُلُّكُمْ كَانَ جَائِعًا إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُ ، وَكُلُّكُمْ كَانَ ظَمَانًا إِلَّا مَنْ سَقَيْتُ ... ⁷ .

وقد ذكر اللغويون أَنَّ ثمة لغة تصرف الوصف الذي على وزن (فعْلان) الذي مؤنثه (فعَلَى) ، ونسبت هذه اللغة إلى قبيلة بني أسد ، وذكرت المعجمات اللغوية شواهد تأنيث الوصف الذي على وزن (فعْلان) بالتاء نحو : عَطِشَ ، كَفَرِحَ ، فهو عَطِشٌ وَعَطِشٌ

¹ - سنن النسائي : 6 / 142 ، رقم الحديث 3401 .

² - المركز : بكسر الميم الإِجَانَةُ التي يُغْسَلُ فيها الثياب ، والميم زائدة وهي التي تخصُّ الآلات . النهاية في غريب الحديث والأثر : (باب الرءاء مع الكاف) .

³ - وينبه الباحث إلى أَنَّ محقق مسند الإمام أحمد قد ضبط (ملآن) غير منونة ، ولكنه أشار في حاشية الحديث إلى أَنَّ الطبعة الميمية التي اعتمد عليها في تحقيق المسند قد ضبطت هذه اللفظة (ملآن) منونة وأشار في الحاشية إليها ورمز للطبعة الميمية بحرف (م) . علماً أَنَّ الطبعة القديمة ضبطت هذه الكلمة (ملآن) منونة .

⁴ - مسند الإمام أحمد : 18 / 74 ، رقم الحديث 25735 .

⁵ - الغُبِيرَاءُ : شراب يُعْمَل من الذرة يتخذ الحش ، وهو يسكر . اللسان : مادة (غير) .

⁶ - مسند الإمام أحمد : 5 / 275 ، رقم الحديث 15482 .

⁷ - المرجع السابق : 5 / 160 ، رقم الحديث 21458 .

وَعَطْشَانُ الْآنَ ، وعاطِشٌ غَدًا ، وهم عَطْشَى وعَطَاشَى وعِطَاشٌ ، وهي عَطِشَةٌ وعَطْشَةٌ وعَطْشَى وعَطْشَانَةٌ ، وهُنَّ عَطِشَاتٌ وعَطُشَاتٌ وعِطَاشٌ وعَطْشَانَاتٌ . والعَطْشَانُ الْمُشْتَاقُّ . وقال الليث وغيره : يقال : رجل عطشان وامرأة عطشانة وعطشى ، والجميع عطاش¹ ، ونحو ظمئٍ ، كفرح ، ظمئاً وظمأً وظمَاءً وظمَاءَةً ، فهو ظمئٌ وظَمَانٌ وهي ظمَآنَةٌ جِ ظمَاءٌ ، ويُضَمُّ نَادِرًا² . ونحو : السَّكَرَانُ : خلافُ الصَّاحِي ، والجمع سَكْرَى وسَكَارَى ، والمرأة سَكْرَى ولغةً في بني أَسَدٍ : سَكْرَانَةٌ ، وَالْجَمْعُ سُكَارَى بِضَمِّ السَّيْنِ وَفَتْحُهَا لُغَةٌ³ ، ونحو ورجل غَضَبَانٌ وامرأة غَضَبَى ، ولغة في بني أَسَدٍ غَضَبَانَةٌ ومَلَانَةٌ وأشباههما⁴ .

وقد ذكر ابن قتيبة أَنَّ " ما كان من النعوت على فَعْلَان ؛ فالأُنثى (فَعْلَى) ، هذا هو الأكثر نحو : غَضَبَانٌ وَغَضَبَى ، و " سَكْرَانٌ وَسَكْرَى ، وبعضهم يقول : سَكْرَانَةٌ وَغَضَبَانَةٌ " ⁵ .

وقد ذكر ابن السَّكِّيت هذه اللغة إذ يقول : " ولغة بني أَسَدٍ سكرانة ومَلَانَةٌ وأشباههما وقالوا رجل سَيِّفَانٌ وامرأة سَيِّفَانَةٌ وهو الطويل الضامر المشقوق ، ورجل موتان الفؤاد وامرأة موتانة ، وما كان على فَعْلَان أتى مؤنثه بالهاء ، نحو خمسان وخصمان ، وعريان وعريانة وما كان من النعوت على فَعْلَان فأنثاه (فَعْلَى) ، هذا هو الأكثر ، نحو : غضبان وغضبي

¹ - انظر : العين ، تهذيب اللغة ، جمهرة اللغة ، المحيط في اللغة ، الصحاح في اللغة ، المخصص لسان العرب ، القاموس المحيط ، تاج العروس : مادة : عطش .

² - انظر : العين ، تهذيب اللغة ، جمهرة اللغة ، المحيط في اللغة ، الصحاح في اللغة ، المخصص لسان العرب ، القاموس المحيط ، تاج العروس : مادة : ظمئ .

³ - انظر : العين ، تهذيب اللغة ، جمهرة اللغة ، المحيط في اللغة ، الصحاح في اللغة ، المخصص لسان العرب ، القاموس المحيط ، تاج العروس : مادة : سكر .

⁴ - انظر : العين ، تهذيب اللغة ، جمهرة اللغة ، المحيط في اللغة ، الصحاح في اللغة ، المخصص لسان العرب ، القاموس المحيط ، تاج العروس : مادة : غضب .

⁵ - أدب الكاتب : 372 .

وعجلان وعجلى ، وسكران وسكرى ، وغرثان وغرثى ، وشبعان وشبعى ، وغديان وغديا وهو المتغدى ، وصبحان وصبحى ، وملآن وملأى¹ .

ويخلص الباحث إلى القول : إنَّ الناظر في هذه الشواهد التي صرفت الوصف الذي على وزن (فَعْلَان) ومؤنثه (فَعْلَى) يجد أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم صرف الوصف من غير علة أوجب صرفه ، فلم يُصرف الوصف للتناسب أو للضرورة أو لإقامة الوزن والذي يميل إليه الباحث أنَّ ثمة لغتين في الوصف الذي على وزن (فَعْلَان) ومؤنثه (فَعْلَى) إحداهما تصرفه وهي لغة فصيحة تقويها كثرة الشواهد التي صرفت الممنوع من الصرف وقد أشار النحاة إلى هذه اللغة عند حديثهم عن الممنوع من الصرف . والأخرى تمنعه من الصرف ؛ للوصفية وزيادة الألف والنون وفقاً لقاعدة الممنوع من الصرف التي قَعَّدها النحاة بعد استقراءهم كلام العرب .

ويظهر للباحث أنَّ مَنْ صرف الوصف الذي على وزن (فَعْلَان) ومؤنثه (فَعْلَى) مصيب غير مخطئ ؛ إذ إنَّه أصاب وجهًا من وجوه العربية لا يمكن إغفاله أو إنكاره ومنَّ منعه من الصرف مصيب غير مخطئ .

صرف العلم المؤنث

ومن شواهد صرف الممنوع من الصرف في الحديث النبوي صرف العلم المؤنث الدال على اسم القبيلة ، مثل صرف (قريش) ، فقد وردت شواهد نحوية صرفت (قريش) وهو علم دال على اسم القبيلة ، ومن هذه الشواهد حديث عائشة رضي الله عنها

¹ - إصلاح المنطق : 358 .

قَالَتْ : " قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَوْلَا حَدَاثَةُ قَوْمِكَ بِالْكَفْرِ لَنَقَضْتُ الْبَيْتَ ثُمَّ لَبَنَيْتُهُ عَلَى أَسَاسِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَام ، فَإِنَّ قُرَيْشًا اسْتَقْصَرَتْ بِنَاءَهُ وَجَعَلَتْ لَهُ خَلْفًا " ¹.

ومنها حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : " قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ الْغَدِ يَوْمَ النَّحْرِ وَهُوَ بِمِنَى نَحْنُ نَازِلُونَ غَدًا بِخَيْفِ بَنِي كِنَانَةَ حَيْثُ تَقَاسَمُوا عَلَى الْكُفْرِ يَعْنِي ذَلِكَ الْمُحَصَّبَ وَذَلِكَ أَنَّ قُرَيْشًا وَكِنَانَةَ تَحَالَفَتْ عَلَى بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَوْ بَنِي الْمُطَّلِبِ أَنْ لَا يُنَاجِحُوهُمْ وَلَا يُبَايِعُوهُمْ حَتَّى يُسَلِّمُوا إِلَيْهِمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " ² . وكقول عائشة رضي الله عنها : " إِنَّ قُرَيْشًا كَانَتْ تَصُومُ يَوْمَ عَاشُورَاءَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ... " ³ .

ومن الشواهد صرف (سبأ) ، فقد روى أبو داود ⁴ عن أَبِيضَ بْنِ حَمَالٍ " أَنَّهُ كَلَّمَ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي الصَّدَقَةِ حِينَ وَقَدَّ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : يَا أَخَا سَبَأٍ ، لَا بُدَّ مِنْ صَدَقَةٍ ، فَقَالَ : إِنَّمَا زَرَعْنَا الْقُطْنَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَقَدْ تَبَدَّدَتْ سَبَأٌ ... " ⁵.

وورد صرف هذيل - وهو علم مؤنث دال على اسم القبيلة - في حديث القسامة الطويل ، فقد روى الإمام البخاري من حديث أَبِي قَلَابَةَ " ... وَقَدْ كَانَتْ هُذَيْلٌ خَلَعُوا خَلِيعًا ⁶

¹ - صحيح البخاري : 307 . ورقم الحديث : 1585 .

² - المرجع السابق : 302 ، ورقم الحديث : 1590 .

³ - المرجع السابق : 345 ، ورقم الحديث : 1893 .

⁴ - أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو بن عمران الأزدي السجستاني ، أحد حفاظ الحديث وعلمه وعلمه ، وكان في الدرجة العالية من النسك والصلاح ، وجمع كتاب " السنن " قديماً وعرضه على الإمام أحمد بن حنبل ، رضي الله عنه ، فاستجاده واستحسنه ، كانت ولادته في سنة اثنتين ومائتين ، وقدم بغداد مراراً ثم نزل إلى البصرة وسكنها ، وتوفي بها يوم الجمعة منتصف شوال سنة خمس وسبعين ومائتين ، رحمه الله تعالى . وفيات الأعيان : 2 / 404 .

⁵ - سنن أبي داود : 501 ، ورقم الحديث : 3028 .

⁶ - الخليع : المستهتر . اللسان : مادة (خلع) .

لَهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، فَطَرَقَ أَهْلَ بَيْتٍ مِنَ الْيَمَنِ بِالْبَطْحَاءِ ، فَانْتَبَهَ لَهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَحَذَفَهُ بِالسَّيْفِ فَقَتَلَهُ . فَجَاءَتْ هُذَيْلٌ فَأَخَذُوا الْيَمَانِيَّ فَرَفَعُوهُ إِلَى عُمَرَ بِالْمَوْسِمِ ، وَقَالُوا قَتَلَ صَاحِبَنَا ... ¹ .

ومن الشواهد صرف (عاد) فقد روى الإمام الترمذي² من حديث عَنْ عَاصِمِ بْنِ أَبِي النَّجُودِ عَنْ أَبِي وَائِلٍ عَنْ رَجُلٍ مِنْ رَبِيعَةَ قَالَ : " .. إِنَّ عَادًا لَمَّا أَقْحَطَتْ بَعَثَتْ قَيْلًا³ ... ⁴ وكقول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِنِّي نَصِرْتُ بِالصَّبَا⁵ ، وَإِنَّ عَادًا أَهْلَكَتُ بِالْذَّبُورِ⁶ . وكقوله عليه الصلاة والسلام : " شَيَّبَتْنِي هُوْدٌ وَالْوَأَقِعةُ وَالْمُرْسَلَاتُ وَعَمَّ يَتَسَاءَلُونَ وَإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ⁷ .

وقد قرر النحاة في قواعدهم أَنَّ العلم المؤنث الدال على اسم القبيلة يُمنع من الصرف العلمية والتأنيث ، وما جاء مصروفًا فيخرج على أَنَّهُ اسم مذكر يدلُّ على اسم الحي ، أو اسم الأب الكبير للقبيلة ، غير أَنَّ ثمة لغة تصرف الممنوع من الصرف مطلقًا وعلى هذه اللغة جاءت هذه الشواهد التي صُرِفَ فيها العلم المؤنث الدال على اسم القبيلة .

والذي يظهر للباحث أَنَّ الأعلام التي وردت في هذه الشواهد أعلام تدل على اسم القبيلة بدليل تأنيث الفعل معها ، فالفعل الماضي لا تلحقه تاء التأنيث الساكنة إلا إذا كان الفاعل

¹ - انظر : صحيح البخاري : 1185 ، ورقم الحديث : 6899 .

² - أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى الضحاك السلمي الضرير البوغي الترمذي الحافظ المشهور؛ أحد الأئمة الذين يقتدى بهم في علم الحديث ، صنف كتاب الجامع والعلل تصنيف رجل متقن وبه كان يضرب المثل ، وتوفي لثلاث عشرة ليلة خلت من رجب ليلة الاثنين سنة تسع وسبعين ومائتين بترمز . وفيات الأعيان : 4 / 278 .

³ - القيل : الملك من ملوك حمير ، وجمعه أقيال . اللسان : مادة (قيل) .

⁴ - جامع الترمذي : 720 ، رقم الحديث 3273 ، صحيح سنن الترمذي : 3 / 109 ، رقم الحديث 3504 .

⁵ - الصَّبَا : ريح تهب من المشرق ، تقابل الدبور الريح التي تهب من المغرب . اللسان : مادة (صبا) .

⁶ - مسند أحمد : 3 / 293 ، رقم الحديث 1955 .

⁷ - سنن الترمذي : 724 ، ورقم الحديث : 3297 .

مؤنثاً سواء أكان التأنيث معنوياً أم لفظياً . ويميل الباحث إلى القول : إنَّ صرف العلم المؤنث الدال على اسم القبيلة يمثل لغة فصيحة من لغات العرب ، ولا يمكن تخريج هذه الشواهد التي صرفت العلم المؤنث الدال على اسم القبيلة على أنها للتناسب ، أو للشذوذ أو للضرورة ، بل جاءت على لغة من يصرف الممنوع من الصرف مطلقاً ، وقد أشار النحاة إلى هذه اللغة .

ومن شواهد صرف الممنوع من الصرف في الحديث النبوي الشريف صرف أسماء الأماكن كقول ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : " كَانَتْ عُكَاظٌ وَمَجَنَّةٌ وَذُو الْمَجَازِ أَسْوَاقًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ ... ¹ . ومنها ما رواه الإمامان البخاري ، وابن ماجه ² من حديث أبي موسى أَرَاهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَهَاجِرُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى أَرْضٍ بِهَا نَخْلٌ فَذَهَبَ وَهَلِيَ ³ إِلَى أَنَّهَا الْيَمَامَةُ أَوْ هَجَرَ ... ⁴ .

¹ - صحيح البخاري : 377 ، رقم الحديث : 2098 ، وينبه الباحث أنَّ العلم المؤنث (عكاظ) ورد ثلاث مرات في صحيح البخاري ، فجاء مرتين مصروفاً في الصفحات الآتية : (في الصفحة 370 ، ورقم الحديث 2050 ، وفي الصفحة 377 ورقم الحديث 2098 وفي الصفحة 782 ، ورقم الحديث 4519) انظر : صحيح البخاري ، طبعة مؤسسة الرسالة . كما ورد العلم المؤنث (عكاظ) مصروفاً في صحيح البخاري ، طبعة بيت الأفكار في الصفحات الآتية : في الصفحة 396 ، ورقم الحديث 2098 ، وفي صفحة 388 ، ورقم الحديث 2050 ، ورد في هذه الطبعة العلم المؤنث (عكاظ) ممنوعاً من الصرف في الحديث رقم 4519 . والحديث من رواية ابن عباس رضي الله عنهما قال : " كَانَتْ عُكَاظٌ وَمَجَنَّةٌ وَذُو الْمَجَازِ أَسْوَاقًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَتَأْتُمُوا أَنْ يَنْجَرُوا فِي الْمَوَاسِمِ ، فَزَلْتُمْ (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ) " . انظر صحيح البخاري طبعة بيت الأفكار ورقم الحديث 4519 .

² - أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه الربيعي بالولاء القزويني الحافظ المشهور ، مصنف كتاب السنن في الحديث ؛ كان إماماً في الحديث عارفاً بعلومه وجميع ما يتعلق به ، ارتحل إلى العراق والبصرة والكوفة وبغداد ومكة والشام ومصر والري لكتب الحديث ، وله تفسير القرآن الكريم وتاريخ مليح ، وكتابه في الحديث أحد الصحاح الستة . وكانت ولادته سنة تسع ومئتين . وتوفي يوم الاثنين ، ودفن يوم الثلاثاء ، لثمان بقين من شهر رمضان سنة ثلاث وسبعين ومئتين ، رحمه الله تعالى . وفيات الأعيان : 4 / 279 .

³ - وهلي : وهمي . اللسان : مادة (وهم) .

⁴ - صحيح البخاري : 7035 ، رقم الحديث : 1209 ، سنن ابن ماجه : 420 ، ورقم الحديث 3921 . وينبه الباحث إلى أنَّ العلم المؤنث (هجر) ورد مرتين في صحيح البخاري ، مرة جاء مصروفاً في =

ومنها ما رواه الإمام البخاري في باب التَّكْبِيرِ أَيَّامَ مِنَى " كَانَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُكَبِّرُ فِي قُبَّتِهِ بِمَنَى فَيَسْمَعُهُ أَهْلُ الْمَسْجِدِ فَيُكَبِّرُونَ وَيُكَبِّرُ أَهْلُ الْأَسْوَاقِ حَتَّى تَرْتَجَّ مِنَى ... " ¹

وَصُرِفَتْ (طَابَة) ، وهي علم مؤنث يدلُّ على اسم المدينة المنورة فروى الإمام البخاري من حديث أَبِي حُمَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : " أَقْبَلْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ تَبُوكَ حَتَّى أَشْرَفْنَا عَلَى الْمَدِينَةِ فَقَالَ هَذِهِ طَابَةٌ " ². ومنها صرف مصر في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إِذَا افْتَتَحْتُمْ مِصْرًا فَاسْتَوْصُوا بِالْقَبْطِ خَيْرًا فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحْمًا " ⁴ .

ومن الشواهد صرف لظى فقد روى الإمام مالك ⁵ من حديث عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ " أَنَّهُ قَالَ لِرَجُلٍ : مَا اسْمُكَ ؟ فَقَالَ : جَمْرَةٌ ، فَقَالَ : ابْنُ مَنْ ؟ فَقَالَ : ابْنُ شِهَابٍ ، قَالَ مِمَّنْ ؟

= الصفحة 7035 ، ورقم الحديث 1209 ، وورد العلم المؤنث (هجر) ممنوعاً من الصرف في الصفحة 637 ورقم الحديث 3622 . انظر : صحيح البخاري ، طبعة مؤسسة الرسالة . كما ورد العلم المؤنث (هجر) ممنوعاً من الصرف في صحيح البخاري ، طبعة بيت الأفكار في الصفحة 692 ، ورقم الحديث 3623 . كما أَنَّهُ قد ضبط العلم (هجر) في الحديث السابق مقترناً بـ (آل) التعريف ، وذلك في طبعة دار الفحاء بدمشق الطبعة الثانية 1999م صفحة 1213 .

¹ - صحيح البخاري : 2 / 25 .

² - المرجع السابق : 211 رقم الحديث : 1872 ، وقد ضبطت (طابة) في بعض الطبعات من غير تنوين انظر : صحيح البخاري : 342 ، مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى ، طبعة بيت الأفكار الدولية الرياض 1998م .

³ - القبط : هم أهل مصر . اللسان : مادة (قبط) .

⁴ - المستدرك على الصحيحين : 2 / 691 . وقد ضُبِطَتْ (مصر) بغير تنوين في هذا الحديث في المستدرك على الصحيحين ، طبعة دار الكتب العلمية : 2 / 553 .

⁵ - الإمام أبو عبد الله مالك بن أنس بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث ، إمام دار الهجرة وأحد الأئمة الأعلام . وكان مالك إذا أراد أَنْ يُحَدِّثَ تَوَضَّأَ وجلس على صدر فراشه وسرح لحيته وتمكن في جلوسه بوقار وهيبة ثم حدث ، وكانت ولادته في سنة خمس وتسعين للهجرة ، وحمل به ثلاث سنين . وتوفي في شهر ربيع الأول سنة تسع وسبعين ومئة ، رضي الله عنه . وفيات الأعيان : 4 / 135 .

قَالَ مِنَ الْحُرْقَةِ ، قَالَ : أَيْنَ مَسْكُنُكَ ؟ قَالَ : بِحَرَّةِ النَّارِ قَالَ بِأَيِّهَا ؟ قَالَ : بِذَاتِ لَظْيٍ¹ ، قَالَ عُمَرُ : أَدْرِكْ أَهْلَكَ فَقَدْ احْتَرَقُوا ، قَالَ : فَكَانَ كَمَا قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ² .

ومن الشواهد صرف (قباء) فقد روى الإمام مسلم من حديث عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ وَفَاطِمَةَ بِنْتِ الْمُنْذِرِ بْنِ الزُّبَيْرِ أَنَّهُمَا قَالَا " خَرَجْتُ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ حِينَ هَاجَرَتْ وَهِيَ حُبْلَى بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ فَقَدِمْتُ قُبَاءً³ فَنُفِستُ بِعَبْدِ اللَّهِ بِقُبَاءٍ ...⁴

ويخلص الباحث إلى القول : إنَّ صرف العلم المؤنث في هذه الشواهد ليس من باب التناسب ، أو المزاجية ، والإتباع ؛ إذ ليس بينه وبين ما قبله ، أو ما بعده من الكلمات تناسب والذي يظهر للباحث أنَّ صَرْفَهُ جاء على لغة فصيحة من لغات العرب التي تصرف الممنوع من الصرف مطلقاً . وأنَّه لا يمكن تأويل العلم المؤنث في هذه الشواهد على أنَّه اسم مذكر فوجود تاء التانيث الساكنة التي اتصلت بآخر الفعل الماضي يمنع من تأويله باسم مذكر .

وقد ذكر النحاة أنَّ بعض هذه الأسماء تجوز فيه لغتان : الصرف ، والمنع من الصرف ، فمن صرفها فَحُجَّتْهُ أَنَّهَا أعلام مذكورة ، وَأَمَّا مَنْ منعها من الصرف فَحُجَّتْهُ أَنَّهَا أعلام مؤنث فمُنِعَتْ من الصرف ؛ للعلمية والتانيث ، ويؤكد ذلك ما ذكره النحاة بأنَّ بعض

¹ - لظي : اسم من أسماء جهنم . اللسان : مادة (لظي) .

² - موطأ الإمام مالك : 937 . وينبه الباحث إلى أنَّ كلمة (لظي) ضُبِطَتْ بلا تنوين في موطأ الإمام مالك صفحة : 597 ، رواية يحيى بن يحيى المصمودي بتحقيق أبي الفضل عبد الله بن محمد بن الصديق ، دار إحياء التراث العربي بيروت الطبعة الأولى 1424هـ - 2003م .

³ - قرية على ميلين من المدينة على يسار القاصد إلى مكة بها أثر بنيان كثير . وكان المتقدمون في الهجرة من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومن نزلوا عليه من الأنصار بنوا بقُبَاءَ مسجداً يصلون فيه الصلاة سنَّةً إلى البيت المقدس ، فلما هاجر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وورد قُبَاءَ صلى بهم فيه وأهل قُبَاءَ يقولون : هو المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم وقيل إنه مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم . معجم البلدان : مادة معجم البلدان : مادة (قبا) .

⁴ - صحيح مسلم : 886 ، رقم الحديث 2146 .

هذه الأسماء يجوز فيها التذكير والتأنيث ، فقد ذكر سيويوه أنَّ (هجر) " يؤنث ويذكر " ¹ ويرى الزجاج أنَّ " الأكثر فيه التذكير والصرف " ² . وكذلك منى ³ .

صرف العلم الأعجمي

وقد ورد صرف العلم الأعجمي في الحديث كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لليهودي الذي سأله عن شراب أهل الجنة ، قال : " مِنْ عَيْنٍ فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا ... " ⁴ واختلف العلماء في (سلسبيل) ، فذهب بعضهم إلى أنها صفة لعين في الجنة وسميت بهذا الاسم ؛ " لسلاسة انحدارها في الحلق وسهولة مساغها " ⁵ ومنهم مَنْ ذهب إلى أنَّ (سلسبيل) علم حقيقي لعين في الجنة ، ويؤكد ذلك ما قرره أبو حيان بقوله " والظاهر أنَّ هذه العين تسمى سلسبيلًا " ⁶ ، وقد روى الطبراني عن مقاتل قوله " السلسبيل عين من الخمر تتبع من تحت العرش من جنة عدن إلى أهل الجنة " ⁷ ومنهم مَنْ يرى جواز صرف (سلسبيل) ؛ لأنه " علم أعجمي نكرة " ⁸.

والذي يميل إليه الباحث هو أنَّ (سلسبيل) علم لعين في الجنة ، مستندًا إلى أقوال اللغويين والمفسرين ، فقد ذهبوا إلى أنَّ (سلسبيل) علم لعين في الجنة ويؤكد ذلك ما ذكره

¹ - الكتاب : 3 / 243 .

² - ما ينصرف وما لا ينصرف : 53 .

³ - انظر : الكتاب : 3 / 243 ، وما ينصرف وما لا ينصرف : 53 .

⁴ - صحيح مسلم : 145 ، رقم الحديث : 315 .

⁵ - تفسير الطبري : 14 / 266 ، البحر المحيط : 8 / 398 ، مفاتيح الغيب : 15 / 250
إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : 9 / 74 ، معاني القرآن وإعرابه : 5 / 261
التحرير والتنوير : 29 / 396 .

⁶ - البحر المحيط : 8 / 368 .

⁷ - التفسير الكبير للطبراني : 6 / 409 .

⁸ - مشكل إعراب القرآن الكريم : 490 .

ابن حجر العسقلاني¹ في تفسيره لقوله تعالى : " عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا " ² أن " ابن أبي حاتم روى عن عكرمة قال : السلسبيل اسم العين المذكورة ، وهو ظاهر الآية ، ولكن استبعد لوقوع الصرف فيه " ³ ، وذهب إلى هذا القول الإمام النووي⁴ إذ يقول : " قال جماعة من أهل اللغة والمفسرين السلسبيل اسم للعين " ⁵ . ومما يؤكد أن (سلسبيل) علم لعين في الجنة قول النبي - صلى الله عليه وسلم - لليهودي الذي قال له : " فَمَا شَرَابُهُمْ عَلَيْهِ ؟ قال : مِنْ عَيْنٍ فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا " ⁶ .

ومن شواهد صرف العلم الأعجمي صرف (إستبرق) وهو علم لنوع من الثياب فقد روى الإمام البخاري من حديث يحيى بن أبي إسحاق قال : " قَالَ لِي سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ مَا الْإِسْتَبْرَقُ ؟ قُلْتُ : مَا غُلِظَ مِنَ الدِّيَبَاجِ وَخَشَنَ مِنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ يَقُولُ : رَأَى عُمَرُ عَلَى رَجُلٍ حُلَّةً مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ، فَأَتَى بِهَا النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ اشْتَرِ هَذِهِ فَالْبَسْهَا لَوْ قَدِ النَّاسِ إِذَا قَدِمُوا عَلَيْكَ ، فَقَالَ : إِنَّمَا يَلْبَسُ الْحَرِيرَ مَنْ لَا خَلْقَ لَهُ ... " ⁷

¹ - أحمد بن علي بن محمد الكنانى العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين، ابن حجر: من أئمة العلم والتاريخ. أما تصانيفه فكثيرة جليلة، منها : (فتح الباري في شرح صحيح البخاري) و (الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة - ط) أربعة مجلدات و (لسان الميزان - ط) ستة أجزاء، تراجم، و (الإحكام لبيان ما في القرآن من الأحكام - خ) و (ديوان شعر - خ أصله من عسقلان (بفلسطين) ومولده ووفاته بالقاهرة سنة 852 هـ . الأعلام : 8 / 149 .

² - سورة الإنسان : 76 : 18 .

³ - فتح الباري في شرح البخاري : 7 / 3837 .

⁴ - يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحزامي الحوراني النووي الشافعي أبو زكريا محيي الدين توفي سنة 676 هـ ، علامة بالفقه والحديث. مولده ووفاته في نوى من قرى حوران بسورية واليهما نسبته . وفيات الأعلام : 8 / 149 .

⁵ - شرح النووي على مسلم : 3 / 115 .

⁶ - صحيح مسلم : 145 ، رقم الحديث : 315 .

⁷ - صحيح البخاري : 1063 ، رقم الحديث : 6081 .

وورد شاهد آخر في صرف (إستبرق) فقد روى الإمام البخاري من حديث ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ : " وَجَدَ عُمَرُ حُلَّةَ إِسْتَبْرَقٍ تُبَاعُ فِي السُّوقِ ، فَأَتَى بِهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، ابْتَغِ هَذِهِ الْحُلَّةَ فَتَجَمَّلْ بِهَا لِلْعِيدِ وَلِلْوُفُودِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : إِنَّمَا هَذِهِ لِبَاسُ مَنْ لَا خَلَقَ لَهُ ... " ¹ .

ويخلص الباحث إلى القول : إِنَّ (إستبرق) علم أعجمي ، وهو علم للثياب الغليظة ويؤكد ذلك ما قرره اللغويون بقولهم : إِنَّ الإِسْتَبْرَقَ ما غلظ من الحرير والإبريسم ، وإنَّ الهمزة والسين والتاء من الزوائد ، وهو علم أعجمي فارسيٌّ معربٌ أصله بالفارسية اسْتَقَرَه ويطلق على الديباج الصفيق الغليظ الحسن ، وتصغيره أُبَيْرِقٌ ² ومما يشهد لهذا القول تفسير راوي الحديث لما سُئِلَ عن الإِسْتَبْرَقِ ، فقال : " مَا غَلَّظَ مِنْ الدِّيْبَاجِ وَخَشَنَ مِنْهُ " ³ .

و يميل الباحث إلى القول : إِنَّ ثَمَةَ لُغَتَيْنِ فِي (إِسْتَبْرَقِ) : إِحْدَاهُمَا تَمْنَعُهُ من الصرف ؛ للعلمية والعجمة وفقاً لقاعدة الممنوع من الصرف ، والأخرى تصرفه وفقاً للغة مَنْ يَصْرِفُ الممنوع من الصرف مطلقاً ، وكلتا اللغتين فصيحة توافق سنن العربية ، والذي يفهم من حديث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ الإِسْتَبْرَقَ ثِيَابٌ غَلِيظَةٌ وَهِيَ نَوْعٌ من الحرير .

صرف العلم المعدول

ومن شواهد صرف الممنوع من الصرف في الحديث النبوي الشريف صرف العلم المعدول (طوى) ، فروى الإمام البخاري من حديث ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : " بَاتَ

¹ - صحيح البخاري : 538 ، رقم الحديث : 3054 .

² - انظر : الصحاح ، ولسان العرب ، وتاج العروس ، والنهاية في غريب الحديث : مادة (إستبرق) .

³ - صحيح البخاري : 1063 .

النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِذِي طُوًى حَتَّى أَصْبَحَ ...¹ . ومنها ما رواه البخاري من حديث ابنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - " كَانَ يَبِيتُ بِذِي طُوًى بَيْنَ الثَّنَائِيْنِ ...² . ومنها ما رواه البخاري من حديث ابنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّهُ " إِذَا دَخَلَ أَذْنَى الْحَرَمِ أَمْسَكَ عَنْ التَّلْبِيَةِ ثُمَّ يَبِيتُ بِذِي طُوًى ثُمَّ يُصَلِّي بِهِ الصُّبْحَ ...³ . ومنها ما رواه الإمام مسلم عَنْ نَافِعٍ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ حَدَّثَهُ " أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَنْزِلُ بِذِي طُوًى ...⁴ . وقد ذكر ياقوت الحموي أَنَّ (طوى) اسم أعجمي للوادي المذكور في القرآن الكريم ، يجوز فيه أربعة أوجه طوى بضم أوله بغير تنوين وبتنوين ، فَمَنْ نونه فهو اسم الوادي ، وهو مذكر على فُعْل نحو حُطِمَ وَصُرِدَ ، وَمَنْ لم يُنَوَّنْهُ ترك صرفه من جهتين إحداهما أَنْ يكون معدولاً عن طاوٍ فيصير كعمر المعدول عن عامر ، فلا ينصرف كما لا ينصرف عمر والجهة الأخرى أَنْ يكون اسماً للبقعة ، كما قال : في البقعة المباركة من الشجرة ويقرأ بالكسر مثل مَعَى وطلَى فينَوْنِ وَمَنْ لم يُنَوَّنْ جعله اسماً للمبالغة⁵ . ويؤكد ذلك اللغويون فقد ذكروا أَنَّ (طوى) اسم الوادي المقدس ، وَأَنَّ (ذُو طوى) وادٍ بقرب مكة ، على نحو فرسخ ، ويعرف في وقتنا بالزاهر في طريق التنعيم ، ويجوز صرفه ومنعه وضم الطاء أشهر من كسرهما ، فَمَنْ نَوَّنَ جعله اسماً للوادي ، وَمَنْ منعه جعله اسماً للبقعة مع العلمية ، أَوْ منعه للعلمية مع تقدير العدل عن طاوٍ⁶ .

¹ - صحيح البخاري : 299 ، رقم الحديث : 1574 .

² - المرجع السابق : 336 ، رقم الحديث 1767 .

³ - المرجع السابق : 2 / 177 .

⁴ - صحيح مسلم : 470 .

⁵ - معجم البلدان : مادة (طوى) .

⁶ - انظر : جمهرة اللغة ، الصحاح ، لسان العرب ، القاموس المحيط ، تاج العروس ، المصباح المنير مادة (طوى) .

والناظر في هذه الشواهد يجد أنَّ (طوى) قد صُرِفَ مع أنَّه علم معدول ، اجتمعت فيه علتان : العلمية والعدل ، فهو معدول عن (طاوي) ، وهذا يدلُّ على أنَّ صرفه جرى على لغة مَنْ يصرف الممنوع من الصرف مطلقاً ، وقد حكى هذه اللغة الأخفش والكسائي وهي لغة بني أسد وتميم وهذيل .